مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ص ١٠٥٣ - ص١٠٨٣ يونيو ٢٠١٠
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

المصلى القبلي
في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي
(٥٨٣ - ٦٤٨ هـ) / (١١٨٧ - ١٢٥٠م)

د.عدنان أحمد أبودية
كلية الآداب– قسم التاريخ والآثار
الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين
adnan_abudayyah@yahoo.com
aabudayyah@iugaza.edu.ps

ملخص: يدور الحديث في هذا البحث حول واحد من أهم المعالم الإسلامية والأثرية في فلسطين، ذلك هو المسجد الأقصى المبارك، الذي استمد أهميته من العقيدة الإسلامية مباشرة. وفي هذا البحث سوف نحصر حديثنا عن المصلى الجنوبي من المسجد الأقصى إبان حكم الأيوبيين. في إشارة إلى واحدة من حلقات البناء والتعمير التي مرت على المسجد بعد أن شهد ظروفاً صعبة إبان الغزو الصليبي لفلسطين خاصة وبلاد الشام عموماً. وقد تم تقسيم البحث إلى العناوين والمفردات التالية :

- المقدمة: تعرض الباحث فيها للخلفية التاريخية والحضارية للمسجد الأقصى عموماً.
- السيرة العمرانية للمصلى الجنوبي ، واستعراض أهم المراحل التي مر بها وصولاً إلى الحقبة الأيوبية.
- المصلى الجنوبي تحت الحكم الصليبي: وقد أحدثوا فيه -خلال تلك الحقبة - العديد من الإضافات والتغييرات ، وفي هذا الجزء من الدراسة تم بحث تلك التغيرات التي سبقت عودة الحكم الإسلامي للمسجد على يد الأيوبيين.
- كما تطرق البحث في موضع أخر إلى التعديلات التي قام بها الأيوبيين لإعادة الطابع الإسلامي للمصلى الجنوبي من المسجد الأقصى خاصة وللقدس عامة. وسوف نتطرق بشيء من التفصيل للأعمال العمرانية التي أدخلها الأيوبيون إلى المصلى الجنوبي في المسجد الأقصى، خاصة تلك الأعمال التي تركها كل من صلاح الدين وابن أخيه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي.
- الخاتمة والنتائج.

The southern prayer mosque in Al Aqsa mosque in the Ayyobids period

Abstract: In this research paper I studied an important place in al aqsa mosque which is located in the southern part of al aqsa (the southern prayer mosque). I choose the period of Ayyoubies due to that critical time that follow the conquest of crusades in the medieval era.

First of all historical background must be mentioned before dealing with the monument in architectural way. Especially the conservations, restorations and modifications that took place in the mosque during its history from the start of Islam until the crusades time.

Secondly, this research paper deals with the attitude of Ayyoubies toward the mosque and mentioned the most important modifications and restorations took place by them in the period of there authority. We find that the southern monument of Al Aqsa mosque refers to the time of Ayyoubies in its final shape, and there are just few additions that took place by the ancestor of them.

Finally, Came to the conclusions, in which I hope that I succeed to get the honor of participation to serve and protect our holiest Islamic place in Palestine.

المقدمة

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها دراسة علمية عن واحد من أهم المعالم الإسلامية على وجه الأرض، وهو الذي تشد إليه الرحال، وتهوي إليه الأفئدة، عنده المحشر والمنشر، وإليه أسري بنبي الله محمد عليه السلام. إنه المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

وقد تم اختيار الدور الأيوبي في بناء وتعمير المصلى القبلي أو الجنوبي في المسجد الأقصى،لما لهذا الدور من أهمية خاصة عبرت عن اهتمام الأيوبيين بالمسجد الأقصى ومدينة القدس بشكل خاص ،وفلسطين بشكل عام وتحريرها مما لحق بها من الاحتلال وتبعاته في عهد الصليبيين.

أما الحدود التاريخية لهذه الدراسة فهي الحقبة الأيوبية منذ التحرير على يد صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م حتى نهاية الحكم الأيوبي في عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م.

لا بد من الإشارة إلى أن المقصود بالمسجد الأقصى هو المنطقة الواقعة في الركن الجنوبي الشرقي من مدينة القدس المسورة، وتبلغ مساحتها ١٤٤ دونم تقريباً[١] ، وهي منطقة محاطة بسور[٢] آخر من الجهة الشمالية والغربية يفصلها عن الحي الإسلامي في مدينة القدس، أما في الجهتين الشرقية والقبلية فهي تشترك مع مدينة القدس في ذات السور المحيط بالمدينة. وهذه المساحة هي المقصودة بالآية الكريمة الأولى من سورة الإسراء[٣]، ذلك أنه لم يكن في عهد النبي

(1) أبو علبة ، عبد الفتاح حسن. القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشرف. الرياض، دار المريخ للنشر، ٢٠٠٠م، ص ٢٤.

(2) يحد المسجد الأقصى سورين من الجهتين الشمالية والغربية ، وهما في الواقع عبارة عن رواقين تضمان العديد من المدارس والقبور والمآذن والأبواب التي تصل بين المسجد والحي الإسلامي.

(3) قال تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} الإسراء١

صلى الله عليه وسلم أية أبنية ترتفع عن الأرض في تلك المساحة، وإنما كانت تلك المساحة المفتوحة تتوسطها الصخرة المشرفة التي كانت المنصة التي شهدت معجزة النبي محمد (عليه السلام) في رحلته إلى السماء. وسور المسجد الأقصى الحالي يرتفع عند زاويته الشمالية الشرقية حوالي ٢٠م، بينما يرتفع في الزاوية الجنوبية الشرقية حوالي ٤٠م(1). أما أبعاده فهي: الضلع الشمالي ٣٢١م، الضلع الجنوبي ٢٨٣م ، الضلع الشرقي ٤٧٤م ، الضلع الغربي ٤٩٠م ، بمعنى أن التربيع ليس كاملاً(2).

أما موضوع هذا البحث فهو المصلى الجنوبي من المسجد الأقصى، الذي يقع في منتصف الجهة القبلية، حيث درجت العادة على إطلاق أسم المسجد الأقصى على هذا المبنى تمييزاً له عن مسجد قبة الصخرة والمعالم الأخرى الكثيرة المنتشرة في ساحات المكان(3).

يحتل المسجد الأقصى مكانة خاصة في قلوب المسلمين في جميع أنحاء المعمورة، فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وهو المسجد الثالث من المساجد المقدسة في الإسلام، والتي يشد إليها الرحال(4).

وبالإضافة إلى كل ما سبق، فان القارئ للتاريخ، يعرف بأنَ المسجد الأقصى كان بمثابة الشاهد على رفعة أمة الإسلام وقوة حضارتها، ففي الوقت الذي كان يقع فيه المسجد الأقصى في يد الأعداء، فإننا نرى الأمة الإسلامية بأكملها قد وصلت إلى الحضيض، وفي الوقت الذي نرى فيه المسجد الأقصى تحت السيطرة الإسلامية، فإننا نرى الأمة الإسلامية في قمة مجدها وعطائها الحضاري.

من أجل ذلك كله فقد تولاه المسلمون بالاهتمام والرعاية والعمارة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه فلسطين تحت الحكم الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رض).

(1) أبو علبة ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٠.

(2) شراب،محمد محمد حسن. موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ج٢، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ص ٩٦١.

(3) يضم المسجد الأقصى نحو ٢٠٠ معلم تقع ضمن حدوده الجغرافية ، تتنوع بين مساجد، ومبان، وقباب، وأسبله مياه، ومصاطب، وأروقة، ومدارس، وأشجار، ومحاريب، ومنابر، ومآذن، وأبواب، وآبار، ومكتبات.

(4) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى" (صحيح مسلم).

وقد رعى المسلمين هذا المكان، وأولوه عناية خاصة، ذلك انه يذكرهم برحلة رسولهم الكريم من مكة إلى المسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله [١]. ومن هنا جاء قرار الخليفة الثاني " عمر ابن الخطاب " ببناء ذلك المسجد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم.

وعلى أنقاض مسجد عمر[٢] - الذي تصفه المصادر التاريخية[٣] بأنه مجرد بيت من الخشب والبوص وجريد النخل، وعروق خشبية موضوعة على الجدران مباشرة بدون عقود، يتسع إلى لحوالي ثلاثة آلاف مصلٍ - بنى الخليفة عبد الملك ابن مروان ومن بعده ابنه الوليد المسجد الأقصى كما يجب أن يكون، ولا تزال بعض آثار البناء الأموي قائمة حتى الآن، منها الأساسات والتسويات الغربية والشرقية التي حملت المسجد فوقها، إضافة إلى الطابق الأرضي من المصلى الجنوبي، وهو ما يعرف اليوم باسم الأقصى القديم[٤]، كما أن منطقة القبة فوق المحراب وما يحيط بها لا زال أموياً صامداً بما فيه من الفسيفساء بديعة الصنعة [٥]، وذلك رغماً عن كل الظروف الصعبة التي لحقت بالمكان سواء بفعل العوامل الطبيعية مثل الزلازل والكوارث الطبيعية، أو بفعل يد الإنسان كما حصل عندما استولى عليه الصليبيون في نهاية حكم الدولة الفاطمية٤٩٢هـ/١٠٩٩م، أو في الاعتداء الآثم على المسجد بالحرق على يدي الصليبي الأسترالي المتصهين في١٩٦٩/٨/٢١م.

وخلال تلك الحقبة التي خضع فيها المسجد الأقصى لحكم الصليبيين، أحدثوا فيه العديد من الإضافات والتغييرات، وسوف يكون أحد مواضع هذه الدراسة مخصصاً للحديث عن تلك التغييرات والإضافات.

---

(1) قال تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}الإسراء١

(2) أقام عمر مسجده في الجهة القبلية من مساحة المسجد الأقصى الكلية (أبو علبة ، ٢٠٠٠م ، ص ٥٩) ، حيث ينتصب المصلى الجنوبي اليوم ، وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد في الجهة الشرقية من المصلى الجنوبي مسجداً صغيراً يعرف بأسم مسجد عمر. حفظاً للذاكرة الزمنية لهذا المكان المقدس ، ووفاءً للخليفة عمر الذي كان أول من بنى مسجداً في العهد الإسلامي في تلك البقعة.

(3) ذكره الرحالة المسيحي آركولف الذي زار القدس في ولاية الخليفة معاوية في العام٥٠هـ/ ٦٧٠م ، وكان ينظر إليه من جبل الزيتون المطل مباشرة على المسجد الأقصى من الجهة الشرقية.(الموسوعة الفلسطينية، م٢، ص ٩٠).

(4) أنظر الأشكال رقم ٦-٧

(5) زيارة ميدانية قام بها الباحث.

كما نتطرق في مكان أخر إلى التعديلات التي قام بها الأيوبيون لإعادة الطابع الإسلامي للمسجد الأقصى خاصة وللقدس عامة. وسوف نتطرق بشيء من التفصيل للأعمال العمرانية التي أدخلها الأيوبيون إلى المسجد الأقصى، خاصة تلك الأعمال التي تركها كل من صلاح الدين وابن أخيه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي.

وإذا كانت مدينة القدس قد عاشت تحت حكم الأيوبيين، حالة من القلق والتوتر، بسبب المخاطر الصليبية المحدقة بها، ومحاولاتهم المتكررة لمعاودة السيطرة عليها؛ فإن الأمر لم يكن كذلك إبان الحكم المملوكي، حيث تمتعت القدس الإسلامية بفترة من النمو الثابت والكبير، مقابل التقدم المتقطع والبطيء في عهد الأيوبيين.

بداية وقبل كل شيء لا بد من التعرف على المسجد الأقصى من الناحية المعمارية بشكل عام، وعلى المصلى الجنوبي (موضوع البحث) بشكلٍ خاص.

المصلى الجنوبي في المسجد الأقصى – العمارة والفنون

أُكمل بناء المصلى الجنوبي من المسجد الأقصى في الحقبة الأموية على يد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥ – ٧١٥م)(1)، ضمن النشاط المعماري المميز لهذا الخليفة الأموي في بناء المساجد التي من أهمها إعادة بناء مسجد الرسول في المدينة المنورة، إضافة إلى بناء المسجد الأموي في دمشق والتوسعات التي أُحدثت في عهده(٢).

كان بناء المساجد الأولى في عواصم الأمصار الإسلامية يتم إلى جانب مؤسسة دار الإمارة ذات الصفة الزمنية والحكم السياسي(٣)، وذلك في إشارة واضحة على عدم فصل الدين عن السياسة في

(1) أنظر الشكل رقم ٢

(2) حسن. فنون الإسلام. ١٩٨١م ، ص٤٠.

(3) عادة ما تقع دار الإمارة أو قصر الحاكم في الجهة القبلية من المسجد كما هو عليه الحال في المسجد الأقصى (زيارة ميدانية للباحث).والسبب في ذلك هو إظهار وظيفة الحاكم في قيادة المصر أو الولاية سياسياً وإدارياً وروحياً في إشارة إلى عدم فصل الدين عن السياسية في النظام الإسلامي. من ناحية أخرى فإن وجود دار الإمارة أو قصر الحاكم في الجهة القبلية من المسجد يسهل على الحاكم سهولة الوصول إلى محراب المسجد من أجل أن يقوم بوظيفته في إمامة المسلمين في الصلاة دون أن يضطر لاختراق صفوف المصلين من الجهة المقابلة ، ودون أن يعرض حياته للخطر بالسير خمس مرات يومياً وسط صفوف العامة من المصلين. حيث درجت العادة على أن يكون هناك باب يصل بين دار الإمارة وبين محراب المسجد ، يستعمله الحاكم وحاشيته. وقد كان هناك العديد من حكام الولايات والخلفاء الذين إتخذوا لأنفسهم مقصورة خشبية تفصلهم عن المصلين في الخلف على طريقة الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان (رض). ولا ننسى أن مجاورة دار الحاكم للمسجد هي سنة عن النبي (عليه السلام) منذ بداية بناء المساجد في الإسلام.

الإسلام، أما من الناحية المعمارية فقد تمت مراعاة أن تكون تلك المساجد ذات نمط تقليدي لمسجد الرسول الكريم(عليه السلام) في المدينة المنورة،الذي غلب عليه البساطة في التصميم والابتعاد عن الزخرفة، مراعياً في تخطيطه الأجواء المناخية الحارة في المدينة، حيث كان عبارة عن بناء مربع أو مستطيل تتوسطه ساحة مكشوفة وتحيط بها الأروقة من كل اتجاه ، والمنطقة المغطاة من المسجد هي تلك المنطقة الواقعة بين المحراب والساحة المكشوفة، وهي منطقة مسقوفة ببلاطات أوسعها البلاطة المتعامدة على جدار القبلة وتصل إلى المحراب مباشرة [١]. ومن الأمثلة على تلك المساجد مسجد الكوفة،ومسجد البصرة، ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط في مصر، وغيرها [٢].

أما في حالة المسجد الأقصى فلم يكن الأمر مختلفاً في البداية عندما أقام الخليفة عمر (رضي الله عنه) مسجده الأول في الزاوية الجنوبية من مساحة المسجد الأقصى وذلك عقب الفتح الإسلامي مباشرة عامَ ١٦هـ/٦٣٥م[٣]، ولكن الأمر اختلف كلياً في العهد الأموي ،عندما قرر المهندسون أن يبنوا المصلى الجنوبي على الطراز البازلكي[٤] السائد في بناء الكنائس، ودور العبادة الأخرى في بلاد الشام منذ العهدين الروماني والبيزنطي، ويقوم تخطيط هذا النمط على الأعمدة والأروقة المتعامدة على جدار القبلة،أوسعها الرواق الأوسط، بدون أية ساحات داخلية مكشوفة أو غير مكشوفة، وربما وجد المسلمون أن مناخ فلسطين البارد والماطر في فصل الشتاء والمعتدل في فصل الصيف يناسبه النمط البازلكي أكثر من غيره، فكان بذلك المسجد الأول في الإسلام الذي خالف النمط التقليدي لمخطط مسجد الرسول السابق الذكر[٥].

---

(1) أنظر شكل رقم ١.

(2) عبد الحميد ، العمارة والفنون في دولة الإسلام. ١٩٨٦م ، ص٨٠-٨٣

(3) حسن، حسن إبراهيم. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. ج١ ، ط١٥ ، بيروت ، دار الجيل، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية. ٢٠٠١م. ص١٨٩.

(4) النظام البازلكي:عرف هذا النظام في العمارة في العصر الروماني ، في تخطيط المباني العامة ، ثم إقتبسه البيزنطون في تخطيط كنائسهم والتي منها كنيسة المهد في بيت لحم ، كما إقتبسه المسلمون في بناء بعض المساجد مثل المصلى القبلي في المسجد الأقصى، ولكن بشكل موسع عن النموذج البيزنطي. ويقوم هذا النمط في التخطيط المعماري على أساس الشكل المستطيل للبناء، وهو بناء مغطى، وينقسم بشكل رئيسي إلى ثلاثة أروقة أوسعها الرواق الأوسط، كما أن السقف يكون جملوني مائل ، أعلاها سقف الرواق الأوسط أيضاً. (الباحث).

(5) جدير بالذكر أن هذا النمط من بناء المساجد قد أقتبسه الأمويون في الأندلس بعد إستقلالهم بالحكم هناك ، ربما لأن مناخ بلاد الأندلس يناسبه هذا التصميم البازلكي المغلق بدون ساحة مكشوفة ، وربما لأن بناء المصلى

بدأ بناء المصلى الجنوبي في العهد الأموي على يد الويد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥– ٧١٥م) بخمسة عشر رواقاً متعامداً على جدار القبلة، أوسعها الرواق الأوسط، حيث سقف بجمالون أعلى من مستوى سقف الأروقة المجاورة. وجميع تلك الأسقف عولجت بطريقة مائلة قليلاً حتى لا تستقر عليها مياه الشتاء[١].

بدأت أولى النكبات على هذا المبنى في نهاية العهد الأموي في زلزلة ١٣٠هـ / ٧٤٨م التي لم تبقِ على شيء من البناء الأموي سوى المنطقة المحيطة بقبة المحراب في الجزء القبلي من المصلى، عندها تداعى خلفاء بني العباس إلى إعادة أعمار المسجد ابتداءً بالخليفة أبي جعفر المنصور ثم الخليفة المهدي في العام ١٦٣هـ/٧٨٠م الذي تعود إليه أغلب التعميرات من الحقبة العباسية، أما الزلزلة التي وقعت في العام ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م فقد أصابت المسجد بأضرار كبيرة جعلت من الضروري إعاده إعماره على يدي الخليفة الفاطمي الظاهر في عام٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م[٢]، ولا زال الكثير من معالم المسجد الحالي يعود إلى عهد الخليفة الظاهر، يدلك على ذلك النقوش التي تحملها رقبة القبة فوق منطقة المحراب وتشير إلى أسم الظاهر[٣][٤].

كان مخطط المسجد منذ الحقبة الأموية عبارة عن خمس عشرة بلاطة تنتهي بخمسة عشر باباً في الجدار الشمالي للمسجد. وهذا ما حرص عليه المهدي في مشروع إعادة الإعمار[٥]، أما الخليفة الظاهر الفاطمي فقد كان المسجد في عهده عبارة عن سبعة أروقة فقط[٦]. حيث تراجعت مساحته إلى أقل من النصف.

الجنوبي في الأقصى كان منذ البداية إبداعاً أموياً وقد رأوا أن يكملوا هذا الإبداع في الأندلس أيضاً. وإمـــا أن الأمر هو تيمناً بعمارة الأقصى المبارك لأسباب دينية.

(1) زيارة ميدانية قام بها الباحث.

- (2) Creswell ,K. A.C. Ashort Account of Early Muslim Archetecture. Beirut, Offset , 1968 , p 274.

(3) زيارة ميدانية قام بها الباحث.

(4) أنظر شكل رقم ٤

- (5) Creswell ,K. A.C. Ashort Account of Early Muslim Archetecture. Beirut, Offset , 1968 , p 281

(6) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٦٨

المسجد الأقصى تحت السيطرة الصليبية

احتل الصليبيون مدينة القدس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. حيث كان العالم الإسلامي في تلك الفترة التي سبقت الغزو الصليبي يتخبط في دياجير الظلام والانقسام الفوضوي، فالفاطميون من ناحية، والسلاجقة من ناحية أخرى ينازعون العباسيين السلطة، فراحت البلاد نهباً مقسماً بين هؤلاء وهؤلاء[١].

وقد أسس الصليبيون أربع ممالك وإمارات لهم بعد احتلالهم مدينة القدس، الأولى في القدس، والثانية في الرها، والثالثة في طرابلس، والرابعة في إنطاكية، وكانت مملكة القدس أشدهن وأكثرهن تنكيلاً بالمسلمين[٢].

وقد أحدث الصليبيون في القدس عامة وفي الحرم الشريف خاصة، العديد من التغييرات:

١- أما بالنسبة لقبة الصخرة، فقد حولوه إلى معبد للصلاة (معبد الرب)، كما أقاموا فيه مذبحاً فوق الصخرة[٣]، يدلك على ذلك الثقب الموجود الآن في وسط الصخرة، والذي كان يستخدم من اجل تصفية دماء الأضاحي التي تذبح فوق الصخرة، حيث كانت تتجمع الدماء في المغارة التي تحتها ويتم جرها إلى خارج الحرم من خلال قنوات خاصة، كما أزالوا الفنيال[٤] الذي كان من عهد العباسيين، ونصبوا مكانه صليباً من الذهب.

٢- ومن الإضافات الأخرى التي أُدخلت إلى قبة الصخرة المشرفة: إزالة بعض الكتابات الإسلامية، واستبدالها بأخرى لاتينية، كما قاموا بتغطية جزء آخر من تلك الكتابات باستعمال ستائر من القماش[٥].

٣- أما المصلى الجنوبي من المسجد الأقصى فقد تعرض هو الآخر للعديد من التغييرات والإضافات منها: تقسيمه إلى أقسام داخلية من أجل السكن، كما تم إغلاق المحراب بوضع حائط أمامه يفصله عن بقية المسجد[٦].

---

(1) الكاتب ، عبد الحميد. القدس الفتح الإسلامي ، الغزو الصليبي ، الهجمة الصهيونية ، القاهرة ، دار الشروق ، د.ت. ص٧٧-٧٨.

(2) الكاتب ، القدس الفتح الإسلامي ، ص ٨١.

(3) العارف: المفصل ، ص ١٧٥.

(4) الفنيال: عبارة عن عمود معدني يثبّت فوق قبة المسجد أو المئذنة أو القبة. بإرتفاع ١-٢م ، وهو في العادة من البرونز أو النحاس، في أعلاه نجمة يحيط بها هلال يتجة بفتحته نحو القبلة.

(5) محاضرة للدكتور مروان أبو خلف ، ١٩٩٨.

(6) ابن الأثير ، ١٠٨٧م ، ص: ١٥٨ ؛ Hawari , Ayyubid Jerusalem , p:67 .

٤- وقد سمي المسجد في البداية " هيكل سليمان " من قبل الصليبيين، وقد منعوا المسلمين من الصلاة فيه، ثم أصبح قصراً ملكياً للملك اللاتيني، حتى تم تسليمه لأنصار الهيكل[١] (الداوية) الذين استعملوه مركزهم الرئيسي، وأضافوا عليه إضافات معمارية كثيرة [٢].

٥- كما اتخذ الداوية جزءاً من المسجد الأقصى كنيسة، واستعملوا الجانب الآخر مخازن لذخيرتهم ومنازل لجنودهم [٣]. وذلك فضلاً عن ملئه بالصور والتماثيل.

٦- ومن خلال التحليل المعماري يبدو أن ما يعرف اليوم باسم مسجد النساء إلى الغرب من المصلى الجنوبي ومسجد عمر إلى الشرق منه هي من الإضافات التي أدخلها الصليبيون على المسجد لخدمة أهدافهم في الإقامة واستعماله مقراً لحمكهم العسكري، يدلك على ذلك العناصر المعمارية الصليبية مثل الأعمدة الرشيقة وتيجانها الملتوية والتي تحمل بعض الأشكال الحيوانية مما لا يتواجد في التراث الإسلامي ، فضلاً عن أن تلكما الإضافتين جاءت في الأطراف الشرقية الغربية من المصلى الجنوبي دون أن تكون هناك حاجة للمصلين بهما ، بل إن المصلين لديهم متسع كبير في الساحات المكشوفة الكثيرة والممتدة إلى الشمال دون الحاجة إلى تلك الأبنية التي جاءت غير منسجمة مع بناء المصلى الجنوبي، وفي مستوى معماري أقل منه بكثير [٤].

٧- أما التسوية الشرقية التي تعرف اليوم باسم المصلى المرواني فقد اتخذوها إسطبلاً لخيولهم سموه إسطبلات سليمان [٥][٦]. مع العلم أن هذه التسوية تعود إلى الحقبة الأموية، وهي بمثابة التسوية الشرقية الواقعه مقابل التسوية الغربية، وكلها بنيت في سبيل إيجاد أرض مستوية ومن أجل التغلب على الطبيعة الجبلية الوعرة من أجل البناء عليها ، ومن المعروف أن الصليبيين الذين يقرون ويؤمنون بالعهد القديم قد اقتبسوا منه أفكارهم عن إسطبلات النبي سليمان ، وملكه الواسع الذي أشارت إليه التوراة، فما كان من هؤلاء الصليبيين الذين يسمون

---

(1) أنصار الهيكل أو فرسان الهيكل: نسبة إلى قبة الصخرة التي ظنوا أنها هيكل منذ أيام المسيح عليه السلام (الدباغ. بلادنا فلسطين ، بيت المقدس (١) ص١٩٩).

(2) Hawari ,1998 , P: 67

(3) الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص١٣٧.

(4) زيارة ميدانية للباحث. (أنظر أشكال رقم ١٤ ، ١٥).

(5) المهتدي ، عبلة. القدس تاريخ وحضارة. عمان ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٠٥ ؛ جدير بالذكر أن

(6) أنظر الشكل رقم ٥

منطقة المسجد الأقصى بجبل الهيكل إلا أن ظنوا أن التسوية الشرقية تلك هي من بقايا ملك سليمان وإسطبلاته المزعومة.

صلاح الدين يحرر القدس

ملك صلاح الدين القدس في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/١١٨٧م. في نفس العام الذي هزم فيه الصليبيين في معركة حطين[١]، ومنذ اليوم الأول لدخوله القدس، اخذ صلاح الدين على عاتقه تنفيذ المهمات التالية:

-المهمة الأولى كانت تتمثل في إعادة بناء أسوار المدينة وتحصينها، خوفاً من الخطر الإفرنجي الذي يمكن أن يداهم المدينة في أي لحظة، ومن المعروف أن القوة التي يتم هزيمتها في القدس تقوم بتخريب أسوار المدينة قبل تسليمها حتى يجد الخصم صعوبة في التحصن في المدينة، وبهدف إبقاء المدينة ضعيفة عسكرياً[٢].

-المهمة الثانية تتمثل في إزالة كافة المظاهر والرموز المسيحية من الحرم الشريف، وكانت تلك المظاهر تتمثل في الصلبان أو الكتابات الصليبية فيه، وأمر بتطهير المسجد من الأقذار، كما أمر بعمارة المسجد وتخشيبه، ورصفه بالفسيفساء والرخام، وتدقيق نقوشه [٣]. وقد احضر من الرخام ما لا يوجد مثله، ومن الفص المذهب القسطنطيني[٤] مما قد ادخر على طول السنين، كما جدد صلاح الدين محراب المسجد، وزينه بالفسيفساء، ووضع فسيفساء أخرى جميلة في قبته[٥]، فرمم

(1) الأصفهاني ١٩٠٢ م ، ص ٤٤.

(2) حصل ذلك الأمر مرات عديدة نذكر منها في العهد الأيوبي ما قام به أهالي مدينة القدس من تخريب أسوارها عندما عرفوا أن الملك الكامل ملك مصر قد سمح للصليبيين بالإستيلاء على المدينة لمدة عشر سنوات ضمن صفقة بينه وبين الصليبيين تهدف إلى رد الحملات الصليبية عن مصر (الكاتب ، القدس الفتح الإسلامي ، ص١٢٦).

(3) الأصفهاني ، ١٩٠٢ م ، ص: ٤٨.

(4) يبدو أن المقصود بالفص المذهب القسطنطيني هو الفسيفساء المذهبة من طراز الفسيفساء البيزنطية المشغولة في عاصمة البيزنطيين القسطنطينية ، ومن المعروف أن صناعة الفسيفساء في العهد البيزنطي كانت في أوج جمالها وإبداعها. يدلك على ذلك فنون الفسيفساء في جدران وأرضيات الكنائس البيزنطية ، خاصة كنيسة أياصوفيا الموجودة الآن في مدينة إسطنبول التركية.

(5) ابن الأثير ، ١٩٨٧م ، ص:١٥٨.؛ العسلي، ١٩٩٢م ، ص: ١٦٢؛ المهتدي ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٠٥. (أنظر شكل ١٣).

المسجد وأزال ما كان من أبنيته من صور وثنية[1]. كما قام صلاح الدين الأيوبي بإعادة السكان المسلمين إلى المدينة وإسكان عدد من القبائل العربية فيها[2].

وقد أمر صلاح الدين الأيوبي بإظهار المحراب، وكان الداوية قد بنوا أمامه جداراً،وتركوه مكاناً للاستراحة، وبنوا غربي القبة داراً واسعةً وكنيسة، فهدم صلاح الدين ما بني أمام المحراب من الأبنية ونصب المنبر، وفرش المسجد بالبسط، وعلقت القناديل، وزود المسجد بالمصاحف، ورتب له المؤذنين والأئمة[3] والخدم [4].

وهناك كتابة بالفسيفساء المذهبة فوق المحراب تشير إلى ما فعله صلاح الدين، هذا نصها:

" بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في سنة ٥٨٣ هـ. وهو يسأل الله ايزاعه شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة" [5].

وفي أقصى الجنوب بالمسجد الأقصى رقبة مرفوعة مزينة بالفصوص الذهبية الملونة، على الأغلب أنها صنعت في خلافة الخليفة العباسي المهدي، ورممت في زمن الفاطميين، وعلى عهد صلاح الدين الأيوبي[6]. كما رتب صلاح الدين في المسجد الأقصى من يقوم بوظائفه، وعين له

(1) كما رفع صلاح الدين عن الصخرة الرخام الذي كان قد فرشه عليها النصارى الصليبيون لأخفائها من عبث رعاياهم ، الذين كانوا يبيعون قطعاً صغيرة من الصخرة المقدسة للزوار الأوروبيين ، ويربحون من ذلك أموالاً كثيرة. (إبن كثير، البداية والنهاية، ١٩٦٦م، ص: ٣٢٦).

(2) يقول عارف العارف أن صلاح الدين قد أسكن قبيلة بني حارث خارج المدينة قرب القلعة في الجهة الغربية ، واسكن بني مرة شمال غرب المدينة ، كما أسكن بني سعد في حارة السعدية وبني زيد قرب باب العمود. (العارف. المفصل في تاريخ القدس ، ١٩٨٦م ، ص١٧٦). جدير بالذكر أن هناك العديد من العائلات الفلسطينية كان قد أحضرها القائد صلاح الدين معه واسكنها بعض المدن الفلسطينية مثل مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية. ونلاحظ كذلك أن العديد من العائلات الفلسطينية التي تسكن الخليل قد أرسلت بعضاً من أفرادها للسكن في مدينة القدس وذلك حماية للمدينة من الأخطار الخارجية ، وقد بدأ هذا التقليد منذ أيام القائد صلاح الدين الأيوبي وبدعم ورعاية منه شخصياً. (زيارات ميدانية للباحث).

(3) ابو شامة ، ١٩٧٤ م ، ص: ١٠٩.

(4) أبو علبة ، ٢٠٠٠م ، ص٩٨.

(5) زيارة ميدانية للباحث ؛ Van Berchem , 1927 , p.403.

(6) العارف ، المفصل ، ص:١٧٥.

إماماً، وأوقف عليه رزقاً جيداً، كما ارصد الختم والربعات[١] في أرجاء المسجد الأقصى والصخرة، ليقرأ فيها المقيمون والزائرون[٢]. كما رسم صلاح الدين للقاضي محيي الدين بن زكي الدين علي القرشي[٣] أن يخطب في المسجد الأقصى للمرة الأولى بعد تحريره من الصليبيين[٤].

وقد قام الأيوبيون بالإضافة إلى ذلك، بإنارة كل من المصلى القبلي،ومسجد قبة الصخرة في المسجد الأقصى بالمصابيح، وفرشه بالسجاد، وتزويده بمصاحف القرآن الكريم[٥]. ومن بين ملوك بني أيوب الذين لهم مآثر في المسجد الأقصى الملك العادل سيف الدين بكر شقيق صلاح الدين، والملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه، والملك الأفضل نور الدين علي، والملك العزيز عثمان، والملك المعظم عيسى، فقد كان هؤلاء يكنسونه بأيديهم، ثم يغسلونه بماء الورد والمسك الفاخر[٦]، ويصرفون الأموال "الطائلة" على الفقراء [٧].

وبالرغم من كل الإصلاحات والتعديلات التي أدخلها صلاح الدين، فلا زلنا نرى أثار الصليبيين في المسجد الأقصى بادية للعين حتى هذه اللحظة، ويتمثل ذلك في العديد من العناصر المعمارية التي أبقى عليها المسلمون، أو تلك التي أعيد استخدامها من جديد [٨].

فالمتأمل اليوم في الواجهة الشرقية من المسجد الأقصى يشاهد أن جميع الأبواب الإحدى عشرة التي ذكرها الرحالة الفارسي ناصري خسرو في العام ٤٣٨هـ/١٠٤٧م[٩]، يراها مغلقة جميعاً باستثناء باب واحد في منطقة الوسط، وقد تسرب إلينا الشك بأن ذلك الباب كان قد ترك بتخطيط من الصليبيين، الذين جرت العادة عندهم بجعل باب الكنيسة يتجه صوب الشرق، ومما يدلل على

(1) الختم والربعات جمع ختمة أو ربعة وهي المصاحف أو أرباع المصحف الشريف.

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص: ٣٢٦.

(3) محيي الدين بن الزكي القرشي: قاضي دمشق في عهد صلاح الدين الأيوبي ، كان موصوفاً بالعلم والتقوى والورع، وقد خطب المسلمين في أول يوم جمعة بعد تحرير المسجد الأقصى خطبة سنية جامعة بليغة نالت من الشهرة الشيء الكثير. (إبن الأثير، الكامل في التاريخ ، ١٩٨٧م ، ج١٠ ، ص١٢٢.

(4) أبو شامة ، ١٩٧٤ م ، ص: ١٠٩.

(5) الأصفهاني ، ص: ٥١.

(6) ابن كثير ، ١٩٦٦، ص: ٣٢٤.

(7) (العسلي ،١٩٩٢، ص:١٦٤).

(8) كان هناك العديد من العناصر المعمارية الصليبية التي تم جلبها من مباني صليبية مجاورة ثم أعيد إستعمالها في المسجد الأقصى ، كما هو الحال في مسجد النساء ومسجد عمر على سبيل المثال.(زيارة ميدانية للباحث).

(9) خسرو. سفر نامة ، ص٧٢

صحة هذا الرأي هو وجود ما يعرف عند النصارى بـــ "الروزيت" وهي الوردة المعلقة في هذه الأيام فوق الباب الشرقي الوحيد للمسجد الأقصى المبارك. ومثل هذه الروزيت هي من مميزات مداخل الكنائس في تلك الفترة، وهي عادة تكون منقوشة في الجهة الشرقية.

ومن جهة أخرى فيبدو أن الدكة التي يعتليها المؤذن اليوم، والتي أمر المماليك فيما بعد بتجديدها، هي أيضاً مبنية من عناصر معمارية صليبية، خاصة الأعمدة الرشيقة والملتوية التي تحمل الدكة، يدلك على ذلك الزخرفة في تيجان تلك الأعمدة ذات النمط الذي شاع في العهد الصليبي[(١)]. وهذا ليس غريباً، فقد استعمل الأيوبيون العديد من العناصر المعمارية الصليبية أثناء تعميرهم في مختلف أنحاء مدينة القدس[(٢)].

أما السلطان صلاح الدين فقد اهتم في مواضع أخرى بإزالة آثار الصليبيين من المسجد الأقصى، وإعادة الطابع الإسلامي لمدينة القدس عموماً، والمسجد الأقصى خصوصاً ، حيث عمر المؤسسات الإسلامية الكثيرة وأوقف عليها الأوقاف ، وذلك لأول مرة. [(٣)].

ومن بين المؤسسات التي نحن بصدد الحديث عنها في هذا البحث الزاوية الخنثنية أو ما تعرف اختصاراً بالزاوية الختنية [(٤)]، وتقع بجوار قبلة المصلى القبلي في المسجد الأقصى خلف المنبر، أوقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي على الشيخ جلال الدين أحمد بن محمد الشاسي، رجل من أهل الصلاح والتقوى، وهو أول من تولى مشيختها ، وقد أوقف عليها الأوقاف وأعمال الخير، وقد تعاقب عليها عدد من مشاهير الحركات الصوفية في الحقب اللاحقة منهم الشيخ الختني الذي سميت باسمه [(٥)(٦)].

المنبر النوري في المصلى القبلي في المسجد الأقصى

يعتبر صلاح الدين الأيوبي - فاتح بيت المقدس ومحرره من أيدي الصليبيين٥٨٣هـــ/١١٨٧م- من أكثر السلاطين والملوك الأيوبيين الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ المسجد الأقصى وعمارته. وبالإضافة إلى ما تقدم من أعمال ترميم وإعمار قام بها صلاح الدين، فان قيامه

---

(1) أنظر الشكل رقم ١١

.Hawari, P ; 68 (2)

(3) محاضرة للدكتور محمود هواري ألقيت في المعهد العالي للآثار / جامعة القدس ١٩٩٨م .

(4) بحثت في الكثير من كتب التراجم والتاريخ ولم أجد ترجمة للشيخ الختني. عدا عن ذكر زاويته في قبلة المصلى القبلي في المسجد الأقصى (العليمي ، الأنس الجليل ، ١٩٩٩م ، ج٢ ، ص٢٠٨).

(5) العليمي ، الأنس الجليل ، ١٩٩٩م ، ج٢ ، ص٢٠٨ ؛ العارف ، المفصل ، ص١٧٨

(6) أنظر شكل رقم ١٠

بإحضار المنبر النوري من حلب إلى القدس كان مأثرة ذات شأن كبير، وقد بدأت القصة عندما أمر صلاح الدين بعمل منبر للمسجد الأقصى يليق به، حيث يستشف من ذلك أن المسجد لم يكن فيه منبرٌ، أو أن المنبر الذي بقيت آثاره من زمن العباسيين والفاطميين لم يكن بالمنبر اللائق بمكانة المسجد الأقصى، خاصة بعد تحريره وتطهيره من الصليبيين، وعند ذلك أُخبر صلاح الدين بان سيده نور الدين زنكي كان قد عمل بحلب منبراً أمر الصناع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه، وقال "هذا ما عملناه لينصب بالبيت" [1]. وقد عمله النجارون بالفعل في عدة سنين لم يعمل في الإسلام مثله من قبل[2]. حيث أبدع الصناع في تركيبه وتزيينه، وأنفق في سبيل ذلك ألوفاً [3].

وتعتبر هذه الخطوة التي قام بها نور الدين، من حيث إعداد المنبر ونذره بأن ينصب في المسجد الأقصى، بمثابة الحلم الذي راود المسلمين طوال فترة سقوط المسجد في أيدي الصليبيين، حلم تحرير المسجد وتطهيره من أيدي الصليبيين والعابثين بقدسيته، فكان ذلك الأمر باعثاً ومحفزاً للمخلصين لقضية المسجد الأقصى للسعي وبذل الوسع والممكن من أجل الوصول إلى تحقيق ذلك الحلم ، وكان نور الدين قد أمر بالشروع في عملية صناعة المنبر بتاريخ ٥٦٤هـ/٩-١١٦٨ م. وأُكمل العمل فيه بعد وفاة نور الدين في ٥٧٠هـ/١١٧٤م [4]. وقد نذر نور الدين أن يحمل ذلك المنبر إلى المسجد الأقصى بعد تحريره على يد المسلمين[5].

---

(1) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٩٦٧ ، ص١٥٧.

(2) يقول أبو شامة أن منبر نور الدين لم يعمل في الإسلام مثله من قبل ، ولكن يمكن القول أن المنبر المنصوب الآن في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل لا يقل عنه منبر نور الدين جمالاً وإتقاناً ، وقد صنع على يدي صناع من مصر أيام الحكم الفاطمي على مصر. وتم نصبه في مشهد عسقلان على يد الفاطميين الشيعة ، إلا أن القائد صلاح الدين أمر أن يتم نقله إلى الخليل ليعيد الاعتبار إلى مسجدها بعد حقبة الاحتلال الصليبي كما فعل أمراً مشابهاً في مدينة القدس ومسجدها الأقصى. كما أن الصناع الذين أبدعوا منبر نور الدين في حلب كانوا قد صنعوا منبراً آخر مثله تماماً موجود الآن في حلب، وهو النسخة الوحيدة الباقية بعد أن أحرق أحد المتعصبون منبر المسجد الأقصى في ١٩٦٩/٨/٢١م.

(3) أبو شامة ، ١٩٧٤ م ، ص١١٢-١١٣.

(4) Van Berchem , 1927, P. 393-402

(5) ابن الاثير ، ١٩٨٧م ، ص: ١٥٨

وقد نجح صلاح الدين بالوفاء بنذر صاحبه، عندما استقدم ذلك المنبر إلى المسجد الأقصى، وكان بين عمل المنبر وحمله إلى المسجد ما يزيد على عشرين سنة [١]. وقد وضع المنبر بجانب المحراب الجميل الذي أمر بتعميره صلاح الدين.

وصف المنبر [٢]

نقل الباحث فهمي الأنصاري عن الرحالة ابن جبير الذي زار حلب في يوم الأحد ١٣ربيع الأول من عام ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م. ووصف المنبر قبل نقله إلى القدس ما هو نصه:
"....... وقد استفرغت الصنعة القرنصية جهدها في منبره، فما أرى في بلد من البلاد منبراً على شكله وغرابة صنعته، واتصلت الصنعة الخشبية منه إلى المحراب فتجللت صفحاتها كلها حسناً على تلك الصفة الغريبة،وارتفع كالتاج العظيم على المحراب وعلا حتى اتصل بسمك- ارتفاع- السقف، وقد قوس أعلاه وشرف بالشرف الخشبية القرنصية، وهو مرصع كله بالعاج والأبنوس ، واتصال الترصيع من المنبر إلى المحراب مع ما يليهما من جدار القبلة دون أن يتبين بينهما انفصال ، فتنجلي العيون منه أبدع منظر يكون في الدنيا، وحسن هذا الجامع المكرم أكثر من أن يوصف[٣].

ويتبين لنا من هذا الوصف الذي يورده ابن جبير بان صناعة النقش والحفر والترصيع على الخشب كانت رائجة في حلب في تلك الفترة، حتى أن أبواب الحوانيت كانت تصنع بهذه الصنعة، فلا غرابة والحالة هذه أن تستفرغ الصنعة خلاصة إبداعها في صنع المنبر النوري، فيأتي على لا مثيل له في المنابر[٤].

إلا أن هذا الوصف الذي يورده ابن جبير قد يكون وصفاً لمنبر " آخر" موجود في حلب في نفس المدة التي صنع بها منبر القدس، وان المنبرين متشابهان، ذلك انه يشير إلى أن نقوش المنبر وزخرفته جاءت على نفس طراز المحراب.

ويبدو أن منبر المسجد الأقصى قد تم في عهد الصالح إسماعيل _ابن نور الدين زنكي _ خصيصاً لبيت المقدس، نزولاً عند رغبة والده الذي أمر بصناعة منبر لبيت المقدس، فكان المنبر الذي رآه ابن جبير والعماد الأصفهاني، وأبو شامة، هو المنبر الذي أمر به نور الدين، وتم في

(1) أبو شامة ، ١٩٧٤ م ص: ١١٢
(2) أنظر أشكال ٨-٩
(3) الأنصاري ، ١٩٨٩م ، ص: ٣٤- ٣٥.
(4) الانصاري ، ١٩٨٩م ، ص ٣٥.

عهد ابنه الصالح إسماعيل، ووضع في الجامع الكبير في حلب[١]. وهذا ما سيتم إثباته من خلال النقوش التي يحملها المنبر والتي تذكر بأن المنبر عمل في أيام الصالح إسماعيل.

الكتابات المقروءة على المنبر

الناظر إلى منبر المسجد الأقصى يلاحظ الكتابات التالية عليه في أكثر من موضع:

على جانبي المنبر الكلمات التالية:

" بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بعمله العبد الفقير إلى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لأعداء دينه الملك العادل نور الدين ذكر الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين، أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين،أعز الله أنصاره وأدام اقتداره وأعلا مناره، ونشر في الخافقين ألويته وأعلامه ، وأعز أولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه، وأقر بالنصر والزلفا عينيه برحمتك يا رب العالمين. وذلك سنة ٥٦٤"[٢].

ويستفاد من هذا النقش أن نور الدين زنكي هو الذي أمر بعمل هذا المنبر في سنه ٥٦٤هـ/١١٦٨م.

وعلى يمين الخطيب من ناحية المحراب حفرت الآية الكريمة التالية:

" بسم الله الرحمن الرحيم. في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " [٣].

وعلى يسار الخطيب من الجهة الغربية حفرت الآية التالية:

" بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الأخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين[٤]".

وعلى رقبة المنبر حفر النقش التالي الذي يشير إلى إن المنبر قد أُكمل بناؤه في أيام الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي :

"بسم الله الرحمن الرحيم. تمامه في أيام ولده الملك العالم العادل الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي بن اق سنقر[٥]. وهذا النقش يبين لنا بان المنبر قد أُكمل بناؤه في عهد الصالح إسماعيل بناء" على رغبة أبيه نور الدين زنكي.

---

(1) الأنصاري ، ١٩٨٩م ، ص٣٦

(2) Van Berchem , 1927 , p. ٣٩٤

(3) سورة النور ، آية ٣٦- ٣٧.

(4) سورة التوبة آية ١٨.

(5) Van Berchem , 1927 , P. ٣٩٥

وقد وجدت كتابة أخرى على دفة المنبر اليمنى جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها. وقد جعلتم الله عليكم كفيلا". إن الله يعلم ما تفعلون. ولا................ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة[١].

وعلى باب المنبر في مواضع مختلفة وجدت النقوش التالية:-

" صنعه ابن ظافر الحلبي رحمه الله."

" صنعه سليمان بن معالي رحمه الله. "

" صنعه حميد بن ظافر رحمه الله."

" صنعه فضايل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي رحمه الله [٢].

وقد حرص صانعو المنبر على كتابة أسمائهم عليه، وذلك إما من قبيل الشهرة والدلالة عليهم، وإما من قبيل تخليد عملهم لذلك الأثر ليبقى مقروناً بهم ، أو من قبيل التبرك والقربى.

ونلاحظ أن الأسماء الأربعة التي قرئت محفورة على المنبر الخشبي جميعهم حلبيون، ما عدا سليمان بن معالي، فإنه لم يذكر أنه حلبي، ثم إن اثنين منهم أخوان، ويبدو أن كل صانع منهم قد وضع اسمه على عمل يده، جدير بالذكر أن الفنان المسلم قد تجنب في معظم الفنون التي أبدعها خلال الحقب الإسلامية المختلفة أن يسجل أسمه على تلك القطع الفنية -إلا نادراً-سواء كانت تلك الآثار منقولة أو غير منقولة.

الأيوبيون يفقدون المسجد الأقصى من جديد

لقد وقع المسجد الأقصى في يد الصليبيين غير مرة إبان الحكم الأيوبي - الذي امتد حوالي سبعة قرون[٣] بعد أن حرره صلاح الدين الأيوبي منهم. حيث كانت القدس تقدم كغنيمة في المنازعات السياسية والعسكرية والدبلوماسية، بين الأيوبيين والإفرنج، الذين ما زالوا يسيطرون على جزء ليس بالقليل من الساحل الشامي، وقد بقي الأمر كذلك حتى تمكن المماليك بزعامة

(1) سورة النحل ، آيات ٩٠- ٩٣.

(2) العسلي ،١٩٩٢م، ص:١٦٤ ؛ Van Berchem , 1927 , P.396.

(3) لتل ، دونالد. القدس تحت حكم الايوبيين والمماليك ، ص: ٢١٤.

الملك الأشرف خليل من طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة، ولم يتحقق ذلك إلا في سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م، وذلك بسقوط عكا - آخر معاقل الصليبيين في فلسطين-بيد المماليك [(١)].

أما المرات التي سقط فيها المسجد في يد الصليبيين فهي :

المرة الأولى عندما سلمه الملك الكامل للإفرنج بموجب معاهدة أو هدنة في سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)[(٢)]. وبعد موت الكامل ومجيء ابنه نجم الدين أيوب، حاول الأخير أن يستولي على جميع البلاد التي كانت بحوزة أبيه وابن عمه – الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى – الذي كان يسيطر على الكرك وأعماله والسلط والبلقاء ونابلس وأعمال القدس وبيت جبرين ، وذلك بموجب اتفاق مع عمه الكامل الذي ظل يطمح للسيطرة على دمشق حتى أخذها من ابن أخيه الملك الناصر في ٦٢٦هـ /١٢٢٨م [(٣)]، لكن الملك الناصر عاد فتمكن من ابن عمه الصالح نجم الدين أيوب، فسجنه واسترد هذه البلاد منه، وسار إلى القدس التي كانت بيد الإفرنج، وكان هؤلاء قد تحصنوا فيها خاصة في برج القلعة الغربي [(٤)]، وظل الملك الناصر يحاصر القدس ويرميها بالمنجنيق، حتى أخذها عنوة بمن معه من عسكر مصر، وأخرج منها الإفرنج.

أما **المرة الثانية** التي عاد فيها الإفرنج إلى المسجد الأقصى والقدس فكانت على يد الملك الناصر نفسه بالتعاون مع الصالح إسماعيل (صاحب دمشق)، اللذين اتفقا على محاربة نجم الدين أيوب بالتحالف مع الإفرنج، وكان ثمن تلك المساعدة من قبل الإفرنج هو تسليمهم القدس ثانية، حيث تمكن الإفرنح من صخرة بيت المقدس، وجلسوا فوقها يشربون الخمر، وعلقوا الجرس على المسجد الأقصى[(٥)]. وهنا غادر نجم الدين أيوب القاهرة متوجها صوب القدس، واستدعى الخوارزمية [(٦)] إلى ديار مصر لمحاربة أهل الشام سنة ٦٤٢هـ /١٢٤٤م. فاجتاح هؤلاء البلاد

---

(1) النويري ، شهاب الدين. نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١ ، تحقيق: الباز العريني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ م.

(2) العارف ،١٩٦١، ص١٨٩؛ الكاتب ، عبد الحميد. القدس الفتح الإسلامي ، الغزو الصليبي ، الهجمة الصهيونية ، القاهرة ، دار الشروق ، د.ت. ص ١٤-١٦.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ص: ٢٤٠

(4) ابن واصل، مفرج الكروب ، ص: ٢٤٠ - ٢٥٠

(5) العارف، المفصل ، ١٩٦١ ، ص: ١٨٩ – ١٩٠

(6) الخوارزمية: هم قبائل من التتر ، ينسبون الى خوارزم شرقي بحر قزوين ، وقد هاموا في البلاد يقتلون وينهبون ، بعد أن هاجمهم المغول وأبادوا حكومتهم ، وقد ظل جنكيزخان يدحرجهم وهم ينهزمون أمامه ، حتى

جنوباً وهجموا على القدس بقيادة الأمير حسام الدين بركة خان، وكان عددهم زيادة على عشرة آلاف فارس، وخلصوا القدس من الصليبيين بعد أن قاتلوا عساكر الشام والإفرنج سوية وانتصروا عليهم، حيث أعملوا السيف بمن كان في القدس من النصارى، وهدموا المباني التي كانت في القيامة، ونبشوا قبور النصارى وأحرقوا ودمروا الكثير [١].

المصلى القبلي في عهد الملك المعظم عيسى

صحيح أن ملوك وسلاطين بني أمية قد أولوا المسجد الأقصى والقدس عناية خاصة، إلا أن السلطان الفاتح صلاح الدين، والملك المعظم عيسى، كانت لهم آثار واضحة ولا زالت قائمة حتى الآن. وقد ذكرنا فيما سبق أهم آثار صلاح الدين، وسوف نذكر في هذا المقام الآثار التي تركها الملك المعظم عيسى ابن أخ صلاح الدين.

حكم الملك المعظم ٦٠١ –٦٢٤ هـ / ١٢٠٤ – ١٢٢٦م، وهو عيسى ابن الملك العادل أبو بكر ابن أيوب، شرف الدين الأيوبي، سلطان الشام، وهو من علماء الملوك، وكان عالماً بالفقه الحنفي، ومتعصباً له، وقد خالف بذلك مذهب أهل بيته، فإنهم كانوا شافعية، كما كان عالما باللغة العربية، وله مؤلفات في الفقه واللغة، ولد في القاهرة، ونشأ ومات في دمشق [٢].

وقد ترك المعظم عيسى العديد من آثاره في مدينة القدس عامة، وفي الحرم الشريف خاصة، نذكر منها: المدرسة المعظمية، على طريق باب المسجد الأقصى، المعروف في العهد الأيوبي بباب شرف الأنبياء [٣]، ويعرفه الناس في هذه الأيام بأسم باب العتم [٤].

كما بنى المعظم عيسى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكاناً يسمى القبة النحوية، للاشتغال بعلم العربية، ووقف على ذلك الأوقاف [٥]. وفي أيامه جددت عمارة القناطر على درج الصخرة القبلي عند قبة الطومار، وغير ذلك في الحرم الشريف، كما أن غالب الأبواب الخشبية

وصلوا العراق ، فسمع بهم الملك الصالح أيوب. واستدعاهم لمحاربة الفرنج وبني عمه. فاتفقوا معه شـريطة أن تعطى لهم الاقطاعات ويسكنهم البلدان (طقوش، تاريخ الأيوبيين...، ص٣٣٠).

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص: ٢٥٠ – ٢٦٠

(2) الزركلي ، الأعلام ، م٥ ، ١٩٨٠ م، ص: ١٠٨

(3) الحنبلي ، ١٩٧٣ م ، ص: ٤٠٣

(4) زيارة ميدانية للباحث.

(5) الحنبلي ، ١٩٧٣ م ، ص: ٤٠٣

المركبة على أبواب المسجد - في الفترة التي عاش فيها المؤرخ مجير الدين الحنبلي - قد عملت في أيام المعظم عيسى، وأسمه مكتوب عليها(١).

وعلى أية حال فإن أعظم الآثار التي تركها المعظم عيسى في المسجد الأقصى، ولا تزال قائمة حتى الآن هو جزء من الرواق الشمالي للمصلى القبلي في المسجد الأقصى.

وصف الرواق الشمالي:-

يوصف الرواق الشمالي من المصلى القبلي بأنه عبارة عن واجهة مستطيلة، ممتدة من الشرق إلى الغرب، مكونة من سبعة أقواس، مدببة ومرفوعة على دعامات، يتوسطها المدخل الرئيسي، وينخفض سقفه عن مستوى سقف بقية المسجد. بوابة المدخل تتألف من عدة أقواس مركبة ومتداخلة، القوس الخارجي محمول على عامودين رشيقين من الرخام، بتيجان مزخرفة، أما القوس الداخلي فمحمول على عامودين آخرين من الرخام ذات تيجان مزخرفة أيضاً، كما أن للأعمدة قواعد مربعة الشكل، ومقابل كل واحدة من هذه الأقواس السبعة باب من أبواب المسجد السبعة(٢).

أما القوس الذي يتألف منه المدخل الرئيسي فقد بني على الطراز القوطي(٣) الذي عرفناه في فلسطين بعد فترة الاحتلال الصليبي، كشكل من أشكال التأثر بالعمارة الأوروبية التي أدخلها الصليبيون إلى بلاد الشرق التي احتلوها،والمدخل مزخرف بمضلعات هندسية على شكل أسنان الكلب (Dog Teeth Arch) ، ويعرف هذا العنصر المعماري بوضوح في العمارة الصليبية

---

(1) الحنبلي ، ١٩٧٣ م ، ص: ٤٠٣

(2) أنظر شكل رقم ٣ ؛ زيارة ميدانية للباحث.

(3) العمارة القوطية هي مرحلة من العمارة الأوروبية التي تميزت بأشكال هيكلية مميزة وبتعبيرية جديدة في أواخر القرون الوسطى، وبخاصة من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي إلى نحو عام ١٤٠٠م. نشأ اسم قوطي مع مثقفي النهضة الإيطالية المعروفين بالإنسانيين وينسب إلى قبائل القوط الجرمانية التي اجتاحت إيطاليا في القرن الخامس الميلادي. ويعتبر الإنسانيون فن القرون الوسطى من إنتاج القوط الهمج. يقترن الطراز القوطي بعصر إنشاء الكنيسة في أوروبا الشمالية. ويتسم هذا الطراز غالبًا بطرق إنشائية معينة كالأقواس البارزة والعقود المعمارية المضلّعة والدعائم الطائرة (الأكتاف)، إلا أن كلاً من الأقواس البارزة والقناطر المضلّعة كانت موجودة في الطراز الرومانسكي الذي كان منتشرًا خلال القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر الميلادي. والفرق بين الطراز الرومانسكي والطراز القوطي هو طريقة توفير المساحة. ففي الطراز الرومانسكي تتحقق المساحة بوساطة جميع الفسحات بين الأعمدة وحدة وحدة لتكوين المساحة الكلية، بينما تتحقق المساحة في الطراز القوطيّ كمساحة إجمالية مقسمة إلى وحدات. (http://ar.wikipedia.org/wiki/).

في فلسطين، ويعلو القوس في الوسط حنية جدارية تحوي ستة أعمدة جدارية صغيرة ورشيقة ذات تيجان وقواعد يمكن أن يقال بأنها أعمدة ذات نمط صليبي ، قد أعيد استعمالها في الفترة الأيوبية، وهذه الأعمدة تشكل بينها حنيتان، اليمنى وتحمل نقشاً مكتوباً فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم، جددت هذه الشراريف والطراز اللطيف في أيام مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أيده الله بنصره، بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ناظر الحرمين الشريفين، غفر الله له بتاريخ خامس عشر شهر الله الحرام، سنة تسع وسبعين وثمانمائة (١).

ونستنتج من وجود هذا النقش على تلك الواجهة بأن المماليك ممثلين بالملك الأشرف قايتباي قد ساهموا في إعادة إعمارها، مما يدل على وجود تدمير قد طرأ على الواجهة، ولعل ذلك التدمير يكون بفعل الزلزال الذي ضرب المنطقة في عام ٨٦٢هـ / ١٤٥٨م، وسبب دمارا كبيرا في الكثير من المباني في المنطقة. أو أن المماليك قد ارتأوا إضافة أجزاء وأقواس جديدة على الواجهة الأيوبية.

أما الحنية اليسرى فتحمل نقشاً آخراً كتب فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، أنشئت هذه الأروقة الوالي في أيام دولة سيدنا مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزايم عيسى ابن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين، أبي بكر ابن أيوب ابن شاذي خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكهما، وذلك في سنة أربع عشر وستماية للهجرة النبوية، وصلى الله على محمد وآله " (٢).

وتدل المعلومات في هذا النقش بأن الملك المعظم عيسى كان له مشاركة واضحة في تعمير الأبواب والأروقة في الواجهة الشمالية ، ولكن السؤال هنا هو أية أبواب وأية أروقة هي تلك المقصودة بذلك التعمير والإنشاء ؟؟؟.

ويبدو أن ما قام به المعظم عيسى كان يتركز في المدخل الرئيسي والقوسين المحيطين به من كلا الجهتين، حيث تعود تلك الأقواس الثلاثة إلى فترة تاريخية واحدة، خاصة إذا عرفنا أن الرواق الشمالي الذي نحن بصدد الحديث عنه يحوي في منتصفه الداخلي قبة تحمل نقشاً يشير إلى بانيها وهو المعظم عيسى، مما جعلنا نؤكد بأن الأقواس المركزية الثلاث في الرواق الشمالي تعود للفترة الأيوبية.

---

(1) زيارة ميدانية للباحث ؛ Van Berchem , 1927 , p. 433

(2) زيارة ميدانية قام بها الباحث ؛ Van Berchem , 1927 , P. ٤١٦

ولا زلنا نذكر النقوش التي يمكن قراءتها على الواجهة الشمالية ،والتي يمكن بواسطتها التعرف على الفترات التي تعود إليها تلك الواجهة، ففي الجهة اليمنى من الواجهة، فوق الركبة الثانية يوجد نقش كتب فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، جدد هذا الجامع المبارك والأبواب المستجدة في أيام مولانا السلطان العالم العامل الملك الكامل سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين شعبان ابن مولانا الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاون الصالحي، تغمده الله تعالى بالرحمة، بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى أيبك المصري ناظر الحرمين الشريفين، بتاريخ شهر رجب الفرد سنة ست وأربعين وسبعماية " (١).

ويقابل هذا النقش نقش آخر في الجهة اليسرى من الواجهة فوق الركبة الثانية من جهة الشرق، كتب فيه "جدد هذا الجناح المبارك في أيام مولانا السلطان الملك ناصر الدنيا والدين حسن بن السلطان الملك البار محمد بن قلاون، خلد الله ملكه وذلك بالإشارة العالية الفارسية نائب السلطنة المعظمة بالأعمال الساحلية والجبلية أعز الله أنصاره بنظر الفقير إلى الله تعالى عز الدين أيبك المصري أثابه الله تعالى في شهور سنة أحد وخمسين وسبعمائة " (٢).

وإلى يمين المدخل يوجد حنية جدارية أخرى، تحتوي على ثلاثة أعمدة جدارية صغيرة ورشيقة ذات قواعد وتيجان تعلوها أقواس مدببة على النمط العباسي، وهي مدببة ذات سلاح بارز، وتحمل في داخلها كتابة "الحمد لله " وعلى يسار قوس المدخل يوجد حنية صغيرة أخرى شبيهة بتلك على اليمين، لكنها تحمل الكتابة " رب العالمين"، وكأنه يريد أن يكمل العبارة التي بدأ بها في الحنية الأولى، لتصبح في النهاية "الحمد لله رب العالمين".

ولا زلنا نصف المدخل، حيث يوجد فوق الركبة اليمنى للمدخل حنية جدارية شبيهة بالمحراب مكونة من ثلاثة أقواس متداخلة.

ويعلو جميع ما سبق كورنيش مضلع على النمط الصليبي، يمتد من الشرق إلى الغرب، ويعلو الكورنيش شراريف حجرية (Crenellation)(٣). ويتوسط تلك الشراريف ثلاث فنيالات، اثنان على طرفي الواجهة، وواحد في الوسط.

---

(1) زيارة ميدانية قام بها الباحث؛ Van Berchem , 1927 , p. 426

(2) زيارة ميدانية قام بها الباحث ؛ Van Berchem , 1927 , P ٤٣٠

(3) الشراريف أو الشرافات (Crenellation) عبارة عن حلية زخرفية ذات أشكال معمارية متعددة ، تبنى في العادة في أعلى المبنى، وتكون من مواد حجرية أو من الطوب أو الجص أو الفخار. وهي ذات شكل نباتي أو هندسي، متكرر ومتدرج ومتراجع على الأعلى (أنظر شكل رقم ١٢). تؤدي وظائف متعددة مثل تجميل البناء من الأعلى ، وحماية الجالسين على السطح من السقوط ، وتخفيف الأحمال على جدار البناء، والسماح للنساء

المصلى القبلي في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي

مما سبق يتبين لنا أن الرواق الشمالي للمصلى القبلي يعود إلى حقبتين إسلاميتين هما الأيوبية في عهد المملك المعظم عيسى ، وهي المرحلة التأسيسية في بناء الرواق. تليها المرحلة الثانية وهي المملوكية في عهد الأشرف قايتباي والملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو عمل يقتصر على التجديد والإضافة وليس الإنشاء.

أما داخل الرواق فإن التسقيف قد تم باستخدام العقد المتقاطع(cross vault)، وفي الوسط فوق المدخل يوجد القبة التي تحمل نقشاً يشير إلى بانيها وهو الملك المعظم عيسى:

" بسم الله [الرحمن الرحيم] أنشأ هذه [القبة]

مولانا [الملك المعظم] العالم العادل

المـ[ؤيد] [ا]لمنصور المظفر ا[لمجاهـ]د المثاغر المرابط

شرف ا[لدنيا والديـ]ن ابو الـ[عز]ائم عيسى

[ابن الـ]سلطان [الملك] العادل سـ[يف]الـ[دين]... [(١)]

التحليل الأثري والمعماري لواجهة المسجد الشمالية:

وقد سبق وكانت القبة من الداخل كما هو داخل الرواق بأكمله مغطى بطبقة من القصارة، يبدو أنها أضيفت في الفترة العثمانية أثناء التحضيرات لقدوم الإمبراطور الألماني إلى القدس في العام ١٨٩٨م، وعندما تم إزالة تلك القصارة على يد جمال باشا – القائد العثماني في فلسطين – في الفترة من ١٩١٤م –١٩١٧ م، فإن عمال البناء لم ينتبهوا إلى وجود نقش يحيط بالقبة من الداخل، حيث تم إنقاذ جزء صغير منه في اللحظات الأخيرة[(٢)].

والقبة ذات نمط أيوبي واضح، يبدو ذلك من خلال كونها قبة عميقة على نمط القباب الأيوبية، وهي تشبه إلى حد ما القباب الموجودة في القبة النحوية، أو تلك الموجودة في الباب الذهبي[(٣)] من أبواب المسجد

وأهل البيت من مشاهدة الطريق العام جون أن يتمكن المارة من كشف عورة سطح المنزل. وهـي عنـصر معماري شرقي قديم، يمكن رؤيته في العمارة العراقية القديمة كما في بوابة عشتار في مدينة بابل الأثرية على سبيل المثال (زيارة ميدانية للباحث).

(1) زيارة ميدانية قام بها الباحث ؛ Hamilton ,1949, P. 47.

(2) Hamilton , 1949 , P. 47

(3) الباب الذهبي هي التسمية التي أطلقها عليه الرحالة الغربيون ، فيما يعرف عند المسلمين بباب الرحمة والتوبة ، وهو في الغالب يعود إلى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أمر بإغلاقه خوفاً من معاودة مهاجمة الصلبيين للمدينة المقدسة من جهة الشرق حيث لا توجد كثافة سكانية تدافع عنها أو تنبئ بقدوم الخطر الصليبي الذي ما زال يتربص بالمدينة الدوائر.

الأقصى الشرقية. ومن ناحية أخرى فقد جرت العادة في القباب الأيوبية أن يتم الإنتقال فيها من المربع إلى القبة من خلال حلول إنشائية تتمثل في المثلثات الكروية – Pendentives، كما عرفت حلول إنشائية أخرى في العهد الأيوبي، مثل الحنايا الركنية، الصدفات الركنية وغيرها.

إن المتأمل في الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى يلاحظ ما يلي:

إن أقدم تاريخ تحمله النقوش التي على الواجهة هو ٦١٤ هـ في أيام الملك المعظم عيسى، وهذا ما يجعلنا نقول بأن الأقواس المركزية الثلاثة في الوسط هي من عمل المعظم عيسى، ويؤكد ذلك ما تحمله القبة داخل الرواق من نقش يذكر اسم المعظم عيسى.

أما ما ذهب إليه Hamilton من كون الأقواس الثلاثة تعود للفترة الصليبية؛ فأظن أن ذلك لا أساس له من الصحة، وذلك استناداً إلى النقوش التي تم العثور عليها، ومن جهة أخرى فإن العناصر التي قال عنها " هاملتون " بأنها صليبية، تلك التي يتكون منها الباب الرئيسي، سواء الأعمدة بتيجانها وشكلها، أو الزخرفة التي يحملها الباب الرئيسي، كل تلك العناصر حتى وإن كانت صليبية ؛ فإن ذلك لا يعطي مبرراً لاعتبار المدخل من الفترة الصليبية.

ذلك أننا يجب أن لا ننسى بأن الأيوبيين الذين حكموا البلاد في أعقاب طرد الصليبيين منها؛ قد استخدموا في عمائرهم العديد من العناصر المعمارية الصليبية، مثل الأعمدة، ومداخل الكنائس المبنية على الطراز القوطي، وغيرها. وكان الأيوبيون شأنهم في ذلك شأن كل الأمم والحضارات التي ترث بعضها بعضاً، وتضيف إلى سابقاتها الشيء الكثير أو القليل، وقد استعمل الأيوبيون أثناء بنائهم وتعميرهم في القدس، بعض الحجارة والبقايا المعمارية من بقايا الأماكن والأبنية من العصر الصليبي[١]، إلا أن ذلك لا يعيبهم في شيء حيث أن معظم الأمم التي أقامت المنشآت المختلفة فوق هذه الكرة الأرضية، قد استعانت بالحجارة الباقية من أطلال الأمم التي سبقتها.

كما أن المتأمل في الواجهة الشمالية أيضاً، يلاحظ أنه أدخل عليها تعميرات خلال العهد المملوكي ثلاث مرات، الأولى في عهد الناصر محمد بن قلاون، والثانية في عهد ابنه حسن، والثالثة في عهد الملك الأشرف قايتباي[٢].

---

(1) العارف ، تاريخ الحرم القدسي ، ص: ١٦٨ ؛ العارف ، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، ص: ١٦٦.

(2) سيكون هذا موضوع بحث آخر عن المصلى الجنوبي في المسجد الأقصى في الحقبة المملوكية.

إن النصف السفلي من الواجهة لم يتعرض للتدمير الذي أصاب المسجد في زلزال ١٩٢٧م، في حين تساقطت الحجارة من الأجزاء العلوية، مما تطلب إعادة إعمارها، ويبدو ذلك واضحاً في النصف الشرقي العلوي للواجهة.

أما النصف الغربي من الواجهة فإنه أعيد تعميره بنفس الحجارة التي كان يتألف منها، ولم يكن التعمير في النصف الغربي حديثاً، بل إنه تعمير قديم، ويعود لفترات مختلفة، يمكن حصرها في العهد المملوكي، والمتأمل في النصف الغربي ذلك يجد أن مراحل البناء والتعمير يفصلها عن بعضها تصدع واضح في مداميك الحجر، يمتد بالميل من أعلى إلى أسفل(١).

الخاتمة

من خلال العرض السابق للأعمال التي قام بها الأيوبيين في المصلى الجنوبي من المسجد الأقصى يتبين لنا جملة من الأمور والحقائق يمكن اختصارها في التالية:

١. أن الكثير من الوحدات والعناصر المعمارية التي ما زالت ماثلة للعيان في المصلى الجنوبي تعود إلى تلك الحقبة، وأن ما أُحدث في المسجد في الحقب اللاحقة كان أقل من أن يترك اثراً يتغلب فيه على الطابع العام للمسجد إبان الحقبة الأيوبية.
٢. أن الأيوبيين اجتهدوا كثيراً في إعادة الطابع الإسلامي العام للمسجد بعد مرحلة الإحتلال الصليبي التي أحدثت فيه تغيرات كثيرة.
٣. لقد استخدم الأيوبيين العديد من مواد البناء التي كانت موجودة في أبنية صليبية مجاورة مثل الأعمدة أو تيجان الأعمدة الصليبية.
٤. لقد تأثر المعماريون في عهد الملك المعظم عيسى بالأسلوب الصليبي في تشييد أبواب المسجد خاصة في الرواق الشمالي، وهذا ما دفع البعض من الغربيين أن يقول أن ذلك الرواق بني في العهد الصليبي، مع العلم أن الأمر لا يعدو في رأينا أن يكون تأثر بالعمارة الصليبية خاصة - بناء الكنائس- التي كانت نشطة إبان العهد الصليبي.
٥. لقد حرص الأيوبيون على تسجيل مآثرهم في البناء والتعمير في المصلى الجنوبي، حرصاً منهم على نيل الشرف الرفيع والأجر العظيم من الله تعالى.
٦. يعتبر الملك المعظم عيسى هو أكثر من ترك - من السلاطين الأيوبين - بصمة في المصلى الجنوبي من المسجد الأقصى.

(1) زيارات ميدانية قام بها الباحث.

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم
٢. الأتابكي ، يوسف ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة. ج ٥ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. (بدون سنة نشر).
٣. الأصفهاني، عماد الدين. الفتح القسي في الفتح القدسي. تحقيق: محمد محمود صبيح ، الدار القومية للطباعة والنشر (بدون سنة نشر) & مطبعة الموسوعات ، ١٩٠٢ م.
٤. الأنصاري، فهمي. منبر نور الدين زنكي، القدس، قسم إحياء التراث الإسلامي في بيت المقدس، ١٩٨٩م
٥. ابن الأثير ، محمد بن عبد الكريم. الكامل في التاريخ ، ج٩ ، بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
٦. ــــــــــــــــــــ. الكامل في التاريخ ، ط٢ ، ج١٠ ، بيرون ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م.
٧. ابن كثير ، الحافظ. البداية والنهاية ، ج١١ ، ط١ ، بيروت / مكتبة المعارف، الرياض / مكتبة النصر ، ١٩٦٦م.
٨. ابن واصل. جمال الدين. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. القاهرة،د.ن.
٩. ابو شامة ، محمد بن عبد الرحمن الشافعي. الروضتين في أخبار الدولتين ، ج٢ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٤.
١٠. البلاذري ، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ــــــ، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧ م.
١١. أبو علبة، عبد الفتاح حسن. القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشرف. الرياض، دار المريخ للنشر، ٢٠٠٠م، ص ٢٤.
١٢. حسن ، حسن إبراهيم. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي. ج١ ، ط١٥ ، بيروت ، دار الجيل ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية. ٢٠٠١م.
١٣. حسن، زكي محمد. فنون الإسلام. بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١م.
١٤. الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج١، عمان، مكتبة المحتسب، ١٩٧٣م.
١٥. خسرو، ناصر. سفر نامة. ترجمة وتقديم: أحمد خالد البدلي ، الرياض ، ١٩٨٣م.
١٦. الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين/ بيت المقدس(١)،ج٩، القسم٢، كفر قرع، دار الهدى للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.

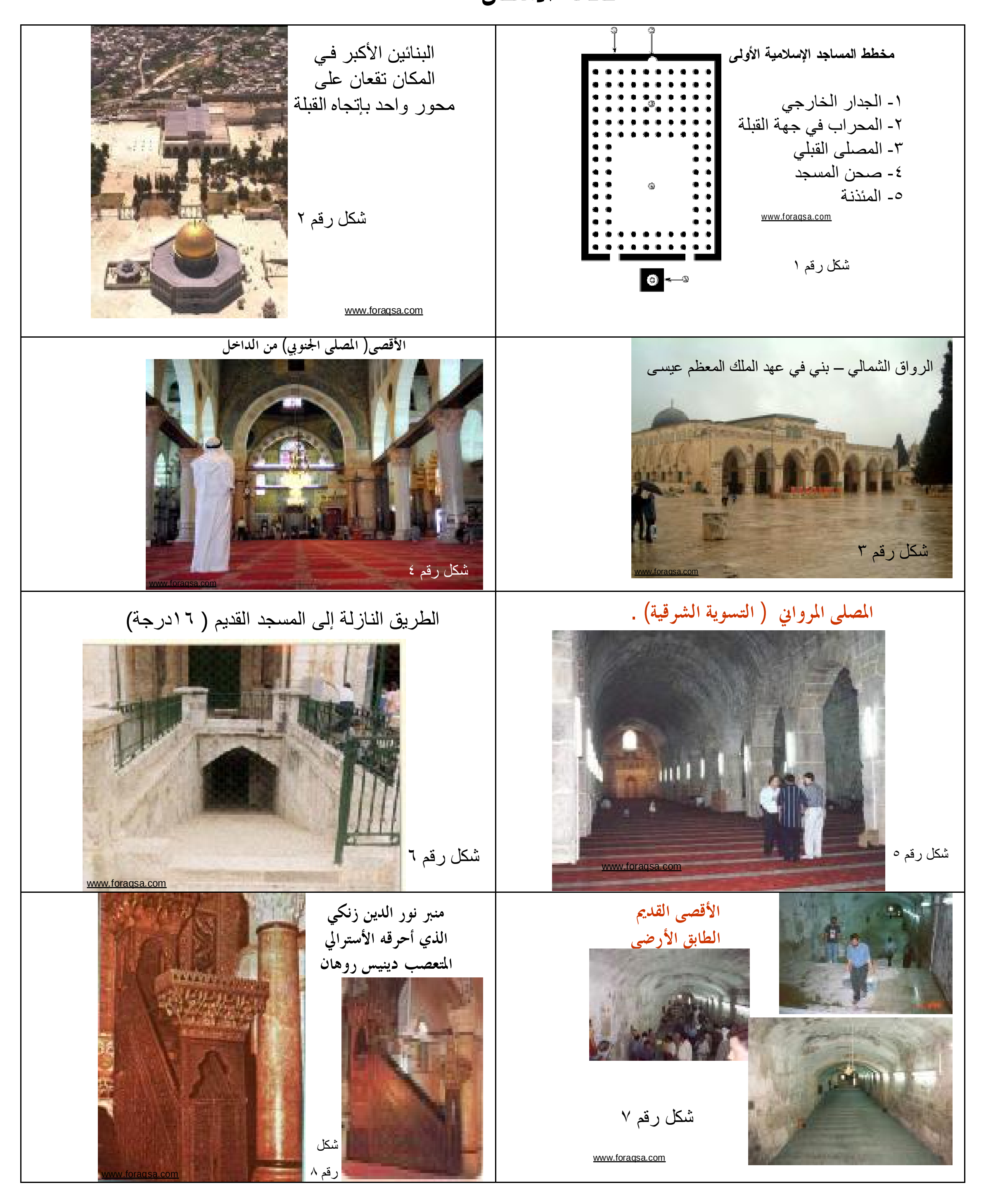
١٧.الزركلي ، خير الدين. الأعلام، ج٥، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠ م.
١٨.شراب، محمد محمد حسن. موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ج٢، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ص ٩٦١.
١٩.ـــــــــــــــ. بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة، ط١.
٢٠.طقوش، محمد سهيل. تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، بيروت، دار النفائس، د.ت.
٢١.العارف، عارف. تاريخ الحرم القدسي، القدس مطبعة دار الايتام الاسلامية، ١٩٤٧م.
٢٢.ـــــــــــــــ. تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك ولمحة عن تارخ القدس، القدس مطبعة دار الايتام الاسلامية ، د.ت.
٢٣.ـــــــــــــــ. المفصل في تاريخ القدس، ط١، ج١، القدس، مطبعة المعارف، ١٩٦١م & العارف. المفصل... ج٢، ١٩٨٦م.
٢٤.عبد الحميد، سعد زغلول. العمارة والفنون في دولة الإسلام، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٦م.
٢٥.العسلي، كامل جميل. القدس في التاريخ، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م.
٢٦.ـــــــــــــــ. الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد ٣، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٧.العليمي ، مجير الدين الحنبلي. الأنس الجليل. تحقيق: عدنان نباتة ، عمان ، مكتبة دنديس ، ١٩٩٩م.
٢٨.الكاتب ، عبد الحميد. القدس الفتح الإسلامي ، الغزو الصليبي ، الهجمة الصهيونية ، القاهرة ، دار الشروق ، د.ت.
٢٩.لتل، دونالد ب. القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك، في كتاب: القدس في التاريخ، تحرير وترجمة: كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م.
٣٠.محاضرات للدكتور الخبير بالآثار د. مروان أبو خلف ألقيت في المعهد العالي للآثار / جامعة القدس ١٩٩٨م.
٣١.محاضرات للدكتور محمود هواري ألقيت في المعهد العالي للآثار / جامعة القدس ١٩٩٨م.
٣٢.المقدسي، شمس الدين. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩١م.
٣٣.المهتدي، عبلة. القدس تاريخ وحضارة. عمان، ٢٠٠٠م،

٣٤.النويري، شهاب الدين أحمد. نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، تحقيق: الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م.

المراجع الأجنبية:

1. Berchem , Max Van. Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum , v. 2 (Haram) , Le Caire , Linstitut Francais darcheologie Oriantale , 1927.
2. Creswell ,K. A.C. Ashort Account of Early Muslim Archetecture. Beirut , Offset , 1968.
3. Hamillton , The Structural History of The Aqsa Mosque , London, Oxford University Press , 1949.
4. Hawari , Mahmoud. Ayyobid Jerusalem. Thesis Submitted for the degree PH.D. University of London , 1998.
5. http://ar.wikipedia.org/wiki/ .

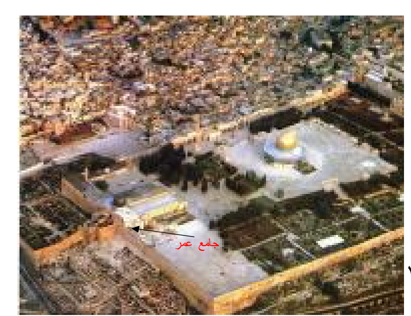
قائمة الأشكال





والمنبر مصنوع من الخشب المطعّم بالعاج والأبنوس، تعب النجّارون والصنّاع والمهندسون فيه سنين. شكل رقم ٩	الزاوية الخنثنية أو البرج. • أوقفها صلاح الدين ٥٨٧هـ بعد إغلاقه الباب المزدوج. • تستعمل اليوم كمدرسة لتعليم القرآن الكريم ، وتضم مكتبة كبيرة . شكل رقم ١٠
دكة المؤذن شكل ١١	الشراريف في أعلى الرواق الشمالي شكل ١٢
قبة المصلى القبلي من الداخل  شكل ١٣	جامع النساء غرب المصلى القبلي شكل ١٤

المصلى القبلي في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي

جامع عمر شرق المصلى الجنوبي  شكل ١٥	هذه الصور مأخوذة من موقع www.foraqsa.com